

الكشاف

" من بعدهم " من بعد الرسل " بآياتنا " بالآيات التسع " فاستكبروا " عن قبولها وهو أعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها " وكانوا قوما مجرمين " كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترأوا على ردها " فلما جاءهم الحق من عندنا " فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عندنا لا من قبل موسى وهارون " قالوا " لحبهم الشهوات " إن هذا لسحر مبين " وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر الذي ليس إلا تمويهها وباطلا . فإن قلت : هم قطعوا بقولهم : " إن هذا لسحر مبين " على أنه سحر فكيف قيل لهم : أتقولون أسحر هذا ؟ قلت : فيه أوجه : أن يكون معنى قوله : " أتقولون للحق " أتعيبونه وتطعنون فيه . وكان عليكم أن تدعنوا له وتعظموه من قولهم : فلان يخاف القالة وبين الناس تقاويل إذا قال بعضهم لبعض ما يسوؤه ونحو القول : الذكر في قوله : " سمعنا فتى يذكرهم " الأنبياء : 60 ، ثم قال : " أسحر هذا " فأنكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وأن يحذف مفعول أتقولون وهو ما دل عليه قولهم : " إن هذا لسحر مبين " كأنه قيل : أتقولون ما تقولون يعني قولهم : إن هذا لسحر مبين ثم قيل : أسحر هذا ؟ وأن يكون جملة قوله : " أسحر هذا ولا يفلح الساحرون " حكاية لكلامهم كأنهم قالوا : أجتئنا بالسحر تطلبان به الفلاح " ولا يفلح الساحرون " كما قال موسى للسحرة : ما جئتم به السحر إننا سيبتله " لتلفتنا " لتصرفنا . واللفت والفتل : أخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال " وجدنا عليه آباءنا " يعنون عبادة الأصنام " وتكون لكما الكبرياء " أي الملك لأن الملوك موصوفون بالكبر . ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس ولذلك وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله : .

ملكه ملك رافة ليس فيه ... جيروت منه ولا كبرياء .

ينفي ما عليه الملوك من ذلك . ويجوز أن يقصدوا ذمهما وأنهما إن ملكا أرض مصر تجبرا وتكبيرا كما قال القبطي لموسى عليه السلام : إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض " وما نحن لكما بمؤمنين " أي مصدقين لكما فيما جئتما به . وقرئ : يطبع ويكون لكما بالياء . " وقال فرعون أتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إننا سيبتله إننا لا يصلح عمل المفسدين ويحق أن الحق بكلماته ولو كره المجرمون " .

" ما جئتم به " ما موصولة واقعة مبتدأ . و " السحر " خبر أي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آياتنا . وقرئ : آلسحر على الاستفهام . فعلى هذه

القراءة ما استفهامية أي : أي شيء جئتم به أهو السحر ؟ وقرأ عبد الله : ما جئتم به سحرا وقرأ أبي : ما أتيتم به سحر . والمعنى : لا ما أتيت به " إن الله سيطلبه " سيمحقه أو يظهر بطلانه بإظهار المعجزة على الشعوذة " لا يصلح عمل المفسدين " لا يثبت ولا يديمه ولكن يسلب عليه الدمار " ويحق الله الحق " ويثبت " بكلماته " بأوامره وقضياه . وقرئ : بكلمته بأمره ومشينته .

" فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين " .

" " فما آمن لموسى " في أول أمره " إلا ذرية من قومه " إلا طائفة من ذراري بني إسرائيل كأنه قيل : إلا أولاد من أولاد قومه . وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف . وقيل : الضمير في قومه لفرعون والذرية : مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته . فإن قلت : إلام يرجع الضمير في قوله : " وملئهم " ؟ قلت : إلى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال : ربيعة ومضر . أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له . ويجوز أن يرجع إلى الذرية أي على خوف من فرعون وخوف من أشرف بني إسرائيل لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم . ويدل عليه قوله : " أن يفتنهم " يريد أن يعذبهم " وإن فرعون لعال في الأرض " لغالب فيها قاهر " وإنه لمن المسرفين " في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية .

" وقال موسى لقومه إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين " .